جهود البابا كليمنت الثالث تجاه

الإمبراطور هنري الرابع (١٠٨٠-١١٠٠م)

إعداد

الباحثة/ رانيا حسن طه سيد

باحثة دكتوراه في الآداب تخصص تاريخ عصور وسطى أوربية

أ.د/ حسن أحمد عبدالجليل البطاوي
رئيس قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة أسيوط

د/ نجلاء حسين محمد توفيق
مدرس بقسم التاريخ
كلية الآداب- جامعة أسيوط

تاريخ الاستلام: ١٥/١١/٢٠٢٠م

تاريخ القبول: ٢٨ /١٢/٢٠٢٠م

ملخص:

يعد البابا كليمنت الثالث (١٠٨٠-١١٠٠م) Clement III، أول بابا إمبراطوري في سلسلة الأباء الإمبراطوريين، واعتبر من الناحية التاريخية زائف، لأنه تولى منصب البابوية بطريقة غير شرعية، أي بطريقة مخالفة لقانون انتخاب البابا الذي أصدره البابا نيقولا الثاني Nichola II في عام ١٠٥٩م، والذي أكد عليه البابا جريجوري السابع Gregory VII في عام ١٠٧٥م. وترجع سبب تسميته بالبابا الإمبراطوري؛لأن الإمبراطور هو الذي قام بتعيينه، لذلك تم اعتباره بابا خاص بالإمبراطور وليس بالكنيسة؛ لأنها رفضت الاعتراف به. وكان بداية ظهور البابا الإمبراطوري كليمنت الثالث خلال النزاع الذي قام بين البابا جريجوري السابع والإمبراطور هنري الرابع Henry IV في القرن الحادي عشر الميلادي حول أحقية كل منهما بالسمو على الآخر، كما ساند كليمنت الثالث الإمبراطور هنري الرابع خلال حملاته على إيطاليا للقضاء على المتمردين ضد السلطة الإمبراطورية، كذلك قام بالتصدي للبابوات الشرعيين خلال صراعهم مع الإمبراطور هنري الرابع.

Abstract:

Pope Clement III (1080-1100AD) is the first imperial Pope in the chain of imperial fathers, and historically it was considered false because he assumed the papacy illegally, that is, in violation of the Pope Election Law issued by Pope Nicholas II in 1059 AD, which was confirmed by the Pope Gregory VII in the year 1075 AD, and the reason for his name is the Imperial Pope because the Emperor is the one who appoints him, so he was considered a Pope of the Emperor and not the Church, because it refused to recognize him, and it was the beginning of the emergence of the imperial Pope Clement III during the conflict that took place between Pope Gregory VII and Emperor Henry IV in The Eleventh Century AD about the entitlement of each of them to supremacy over the other, and Clement III supported Emperor Henry IV during his campaign against Italy to eliminate the rebels against the imperial authority, as well as confronting the legitimate popes during their struggle with Emperor Henry IV.

مقدمة:

إزداد نفوذ البابوية خلال القرن الحادي عشر الميلادي نتيجة لحركة الإصلاح البابوي، وحدث صراع بين السلطة الدينية وتتمثل في البابوية والسلطة الزمنية وتتمثل في الإمبراطورية، والذي قدر له أن يستمر لفترة طويلة وان يكون له نتائج ملحوظة على المجتمع الأوربي الغربي في العصور الوسطى، وليس ذلك فحسب بل أمتد أثره إلى مابعد العصر الوسيط، ومن أهم مظاهر الصراع هو ظهور البابوات الإمبراطوريين على المسرح السياسي، واعتبروا في تاريخ الكنيسة زائفون؛ لأن تعيينهم تم بطريقة غير شرعية ومخالفة لقانون انتخاب البابا، وقام الأباطرة بتعيينهم لمساندتهم في صراعهم ضد الإمبراطورية، ويعد كلمنت الثالثClement III أول بابا إمبراطوري في سلسلة الأباء الإمبراطوريين والذي كان ظهوره نتيجة للصراع الذي حدث بين البابا جريجوري السابع والإمبراطور هنري الرابع، والذي عرف بالصراع بين البابوية والإمبراطورية، وسوف أقوم بتوضيح دورة في مساندة الإمبراطور هنري الرابع لمواجهة البابوية من خلال إضفاء صبغة شرعية على حملات الإمبراطور العسكرية المتجهة إلى إيطاليا، والقضاء على المتمردين ضده.

ويتناول هذا البحث بالدراسة دور البابا كليمنت الثالث تجاه الإمبراطور هنري الرابع (١٠٨٠-١١٠٠م)، ويتضمن عدة عناصر: تعريف لكليمنت الثالث، دور كليمنت الثالث في حملات هنري الرابع على إيطاليا(١٠٨٠-١٠٨٨م)، جهود كليمنت لمواجهة أوربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩م).

أولاً ـ تعريف كليمنت الثالث Clement III (١٠٨٠ـ١١٠٠م):ـ

اسمه جيوبرت (أو ويبرت) أوف رافينا Guibert of Ravana، ووُلد في بارما Parma سنة ١٠٢٥م، وكانت عائلته على صلة بكونتات كانوسا Canosa. إنضم للبلاط الألماني بحلول عام 1055، وعُين مستشار للإمبراطور هنري الرابع في إيطاليا

(1058-1063) بدعم من الإمبراطورة آجنىAgnes، وكان كليمنت مفكراً حراً، وعارض جريجورى السابع أكثر من مرة، وكان حاضرًا بمجمع سوتري Sutri (يناير عام 1059)، الذي أصدر قراراً بحرمان بندكيت العاشر Bendict XI (1059-1058). إلا أنه صار فيما بعد القوة الدافعة وراء انتخاب بيتر كادالوس Peter Cadalus كبابا غير شرعي تحت أسم هونوريوس الثاني Honurios II (1064-1061) على حساب ألكسندر الثاني Alexander II(1073-1061). لا يعرف الكثير عن جيوبرت من تلك اللحظة حتى العام 1072 عندما عيّنه الإمبراطور هنري الرابع (1106-1056) كأسقف لرافينا. لم يتحمس البابا ألكسندر الثاني لهذا الأختيار، نظراً لدعم جيوبرت لهونوريوس، ولكنه وافق على جيبرت بعد أن أجبر رئيس الشمامسة هيدلبراند، على قسم يمين الولاء. لم يمض وقت طويل قبل أن يُنتخب هيدلبراند كبابا تحت اسم جريجوري السابع (1085-1073)، وتحول جيوبرت ليكون من أبرز المعارضين لبرنامج الإصلاح الجريجوري،وقام هنري الرابع بتعيينه خلال مجمع بركسن ١٠٨٠ بابا إمبراطوري له[١]

ثانياً ـ دو كليمنت الثالث في حملات هنري الرابع على إيطاليا(١٠٨٠-١٠٨٨م):ـ

بذل كليمنت الثالث قصارى جهده في خدمة البلاط الإمبراطوري واقتضى في ذلك بالبابا جريجوري الأول، الذي احترم سلطة الإمبراطور موريسMaurise، والبابا ليو العاشر Leo XI ، الذي تعاون مع الإمبراطور هنري الثالث ، من أجل إصلاح الكنيسة، وتعاون كليمنت الثالث مع الإمبراطور هنري الرابع وقام بتكثيف جهوده من أجل تمهيد الطرق أمام الإمبراطور للقيام بحملاته، واستغل سلطته الدينية في الدفاع عن الإمبراطورية من المتمردين والخارجين عن القانون[٢].

وفي منتصف شهر أكتوبر عام ١٠٨٠م قرر هنري الرابع القيام بحملة عسكرية لمواجهة ردولف، واتجه إلى سكسونيا ودارت بينهما معركة على ضفاف نهر الستر

Elster ، ومن حسن حظ هنري الرابع وكليمنت أن ردولف قتل في المعركة على الرغم من انتصاره، وبذلك تخلص هنري من منافس خطير، واتجه هو وحليفه كليمنت الثالث لترتيب شئون الإمبراطورية(٣).

كما شارك كليمنت الثالث مع الإمبراطور هنري الرابع خلال حملاته على روما وظلا معا في إيطاليا ثلاث سنوات (١٠٨١-١٠٨٤م) هاجموا خلالها روما عدة مرات كانت الأولى في مارس ١٠٨١م حيث اتجه هنري الرابع إلى إيطاليا لمواجهة البابا جريجورى السابع والتقى بنصيره كليمنت الثالث في رافنا(٤) واتجهوا إلى روما، ولم يجد جريجوري السابع حليفاً له غير الأميرة ماتيلدا من جهة، وقوة النورمان من جهة أخرى ولكن من سوء حظ جريجورى السابع هُزمت قوات الأميرة ماتيلداعلى يد هنري الرابع عند فولتا Volta قرب مانتوMantou، أما روبرت جويسكارد Robert Guiscard النورمانى فكان مشغولاً بغزو الدولة البيزنطية مما جعل الطريق مفتوحاً أمام هنرى الرابع وكليمنت إلى روما(٥).

وفي السنة التالية ١٠٨٢م رافق كليمنت الثالث الإمبراطور هنري الرابع للمرة الثانية لمهاجمة روما، وظلوا طوال الصيف، بدون تحقيق أي انتصار لأن شعب روما لم يسمح لهم هذه المرة أيضا بدخول المدينة. وأمر هنري الرابع أحد اتباعه بقذف النار على كنيسة القديس بطرس واراد بذلك تحطيم الأبواب عندما يكون الرومان قد غادروا الأبراج وانشغلوا باطفاء النار، لكن البابا جريجري السابع اكتشف هذه الحيلة عندما شاهد النار وأمر جميع جنود روما بالتصدي لهم ولم يسمح لهم بدخول روما، فاضطر هنري إلى التوجه نحو لومبارديا تجنباً للحر وأرسل جيشه بقيادة كليمنت الثالث إلى مدينة تيبرتينا، فاهمل كليمنت مهامه الدينية وتركها جانباً، وقام في بداية الصيف بغزو حقول روما ومزارعها بالإضافة إلى الخسائر الآخري التي ارتكبها بحق شعب روما،

فانقضوا عليهم الرومان وقضوا على معظم الجنود ولم ينج إلا عدد قليل منهم، بالإضافة إلى انهم قاموا بهدم الحصن الخاص بكليمنت الثالث(٦).

وفي سنة ١٠٨٣م تعاون كليمنت واتباعه مع الإمبراطور هنري الرابع في الهجوم على روما وكان كليمنت قد انتهى من بناء حصنه على هضبة تقع بجوار كنيسة القديس بطرس عرفت بالقصر الصغير، وجمع فيه عدداً كبيراً من الجنود وامرهم بمهاجمة شعب روما بعد ما منعوه من دخول المدينة، لكن وافق عدداً كبيراً من الرومان بعد ما اتعبهم حصار ثلاث سنوات على عقد مجمع كنسي بروما في منتصف شهر نوفمبر١٠٨٣م بشرط ألا يحق لا لهنري ولا للرومان مخالفة قرارات المجمع، وأقسم هنري على ذلك قبل خروجه للمجمع، وأرسل جريجوري إلى جميع الرهبان والأساقفة ورؤساء الأساقفة بكنائس روما يدعوهم للحضور إلى المجمع(٧).

اتجه هنري إلى المجمع لكنه ألقى القبض على عدد من المشاركين في المجمع في فورو كاسيو رغم وعده لجميع المتوجهين إلى المجمع بالأمان، كذلك وقع في الآسر أسقف أوستيا مندوب الكرسي البابوي، كما منع العديد من الأساقفة من الوصول إلى المجمع ومع ذلك فإن البابا احتفل بالمجلس لمدة ثلاثة أيام ولم يجد في المجمع من يطلب منه حرمان الإمبراطور هنري الرابع مرة آخرى لكنه حرم الذين منعوا المتوجهين إلى المجمع(٨).

وكان الرومان قد اقسموا لهنري من غير علم البابا جرجوري على أنهم سوف يقوموا باقناع جريجوري بتتويجه وهددوا جريجوري بعزله وانتخاب بابا آخر في حالة رفضه تتويج هنري وكان هذا القسم في صيف ١٠٨٢م، ولما جاء وقته ذكر الرومان البابا بالقسم وجددوا طلبهم من البابا بتتويج هنري فوافق البابا على طلبهم. ولذلك أرسلوا

إلى الإمبراطور يخبروه بأن يأتي إلى روما لكي يتوج إمبراطور على يد البابا، ووجهوا إليه مندوبا آخر يخبره بانهم تراجعوا عن قسمهم وأصبحوا مؤيدين للبابا بكل قوة[٩].

وحاول هنري كسب تعاونهم معه مرة بالتهديد ومرة بالوعود وانتظر مدة طويلة بجوار روما حتى قامت في روما حرب أهلية بسب خلافهم وانشقاقهم وانقسم شعب روما قسما موال البابا وآخر لهنري الرابع وتعرضت المدينة للنهب من الطرفين، ولم يقف إلى جانب البابا إلا عدد قليل من الأساقفة الكاثوليك وهم أيضا طردوا من مراكزهم وحظر عليهم الاتصال برعايهم، ولذلك فمعظم الموالين سواء من رجال الدين أو العلمانيين اختبأوا في بعض الأديرة كي لايشاهدوا غزو الكنيسة حيث اتضح لهم ان النجاة بالتخفي أفضل من الجهاد في سبيل الأخرين والهلاك معهم[١٠].

وفي سنة ١٠٨٤م أراد الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين الانتقام من روبرت جويسكارد عن طريق الإمبراطور هنري الرابع فأرسل أموالاً كثيرة لهنري ليحاربه هو والمتآمرين من طرف البابا، لكن هنري أخذ الأموال ليضم شعب روما إلى جانبه واستطاع هنري الرابع دخول روما والاستيلاء عليها بعد رشوة أحد الحراس لفتح أبواب المدينة في مارس ١٠٨٤م[١١].

بعد دخول هنري روما لم يكن شئ يرضيه تماما فلم يكن كليمنت الثالث قد تولى البابوية بطريقة شرعية ولم ينتخب بشكل شرعي أيضا لأن توليته البابوية لم تكن على أيدي أسقف أوستيا وألبانو وبورتو المختصين بتعيين البابا وتنصيبه، بل كان تعيينه على يد أساقفة سبق عزلهم وحرمانهم من الكنيسة[١٢]؛كما ان هنري الرابع لم يتوج من البابا حتى ذلك الوقت[١٣].

وقام هنري الرابع بعقد مجمع في اللاتيران قرر فيه عزل جريجورى السابع وتنصيب كليمنت الثالث في ٢٤ مارس ١٠٨٤م، واقسم هنري على طاعة كليمنت،

ووضح سبب انتخابه لكليمنت بابا معارضاً لجريجوري السابع محاولة منه لإعادة التعاون المشترك بين البابوية والإمبراطورية في الإصلاح الكنسي، والذي كان سمة مميزة لعهد أبيه هنري الثالث(١٤).

مما أدى إلى غضب جريجوري لسابع وأعلن عزل وحرمان هنري الرابع، وقام بتعميم الحكم على يد مندوبا الكرسي البابوي أسقف ألبانو في فرنسا وأوتو أسقف أوستيا في ألمانيا، وتكرر ذلك في كل المجالس الكنسية التي عقدت لمدة ست سنوات تالية، وظل هنري في قصر اللاتيران بصحبة كليمنت الثالث ولم يسمح له الرومان ان ينتقل إلى كنيسة القديس بطرس(١٥)، وبعد مرور أسبوع قام كليمنت بتتويج هنري إمبراطوراً في كنيسة القديس بطرس وظل هنري سيد روما عاماً كاملاً(١٦).

لكن كليمنت أُعتبر طوال الوقت متمرداً ولم تعترف به غالبية الكنائس وقادتها لأن انتخابه كان مخالف لقانون انتخاب عام ١٠٥٧م وخرج عن تقاليد الكنيسة، واعتبره مؤرخو الباترولوجيا جاحد لكونه أُدين أكثر من مرة من البابا جريجوري السابع وحُرم من الكنيسة(١٧)، واستمر كليمنت في تمرده حتى بعد وفاة جريجوري السابع(١٨)، وظل كليمنت طوال الوقت بابا خاصاً بهنري وليس بالمسيحية(١٩).

وفي تلك الأثناء اتجه جريجوري إلى ساليرنو واحتمى بقلعه سانت أنجيلو CastelloSant Angelo قلعة روما الحصينة ووقف أغلبية نبلاء روما إلى جانبه، واستطاع ان يحكم سيطرته على جميع جسور نهر التيبر وحصون روما القوية(٢٠)، وأرسل يستعجل حلفاءه النورمان في جنوب إيطاليا لنجدته فتقدم جويسكارد النورماني نحو روما ليس حرصاً على مساعدة البابا جريجورى السابع ولكن خوفاً من إزدياد نفوذ هنري الرابع في إيطاليا مما يهدد مصالح النورمان ومطامعهم(٢١).

ولم يستطع هنري مواجهة النورمان فغادر روما قبل وصولهم للمدينة واتجه إلى ألمانيا[٢٢]وغادر كليمنت إلى رافنا، وأصبح رئيسًا لأساقفة كنيستها على الرغم من تأييد عدد كبير له من بين أهل روما ورجال دينها[٢٣]. أما أهالي روما فأسرعوا إلى إغلاق أبواب مدينتهم في وجه النورمان، فلجأ جويسكارد إلى العنف واقتحم المدينة في مايو ١٠٨٤م وأخذ رجاله ينهبون ويدمرون ويحرقون كل ماصادفهم حتى احترقت أحياء بأكملها وحرر عدداً كبيراً من حصون ومدن البابا وبيع ألاف من أهل روما في أسواق الرقيق ثم انسحب النورمان بعد ذلك إلى جنوب إيطاليا[٢٤].

غضب أهل روما من جريجورى السابع لأنهم وجدوا ان هنري لم يكن هو سبب ما حدث بمدينتهم واعتبروا جريجوري السابع هو المسئول الوحيد عن ما حدث بروما على أيدي حلفاءه النورمان، لذلك خشي جريجورى السابع ان يبقى وحيدا في روما، ورافق حلفاءه النورمان إلى ساليرنو وعقد آخر مجلس له في يوليو ١٠٨٤م, جدد فيه عقوبة الحرمان الكنسي للإمبراطور وللبابا الإمبراطوري وأنصارهما. بسبب معارضته وإهانتة لكنيسة روما بانتخابه للبابوية بطريقة لم تحدث من قبل[٢٥]وأصيب جريجوري بمرض ومات في ٢٥ مايو سنه ١٠٨٥م ودفن بكنيسة القديس متى[٢٦].

وبعد مغادرة النورمان لروما أصبح الحزب الإمبراطوري هو الحاكم الفعلي لروما مع ان حكم المدينة وإدارتها كان بيد أئتلاف من أسرتي فرانجيباني وبيرليوني، وتمكن كلمنت الثالث من إعادة سيطرته على كنيسة القديس بطرس وقصر اللاتيران من أسرة بيرليوني، كما انه لم يحصل على اعتراف الأراضي التابعة للإمبراطور هنري الرابع فقط ببابويتة بل اعترفت به المجر ،وكرواتيا، وإنجلترا، وجنوب إيطاليا. وساعده في ذلك تأخر انتخاب خليفة للبابا جريجوري السابع بسبب تردد فكتور الثالث لتوليته البابوية[٢٧].

ظل الكرسى البابوى شاغرا فى روما حوالي سنه بعد وفاه جريجورى السابع حتى اجتمع الكرادلة واختاروا فكتور الثالث لمنصب البابوية مايو ١٠٨٦م الذى كان من أنصار مبادئ جريجورى السابع ولكنه كان بحكم كبر سنه أضعف من ان يقوم بالدور الذى قام به سلفه العظيم(٢٨).

ثالثاً- جهود كليمنت الثالث لمواجهة البابا أوربان الثاني(١٠٨٨-١٠٩٩م):-

ساند كليمنت الثالث الإمبراطور هنري الرابع خلال صراعه مع البابا أوربان الثاني(١٠٨٨-١٠٩٩م) الذي وجد أفضل طريقة التعامل الصحيح مع هذا الصراع الحتمي وتحطيم هنري الرابع وكليمنت الثالث لايمكن ان يكون عن طريق القوة العسكرية فقط بل لابد من تحطيمه داخلياً، وكان أوربان دائم الرفض لإستخدام القوة المسلحة لاقتحام الطريق إلى روما لأن ذلك يؤدي إلى نشأة كراهية جديدة بسبب الحروب فالصراع المسلح في هذا الموقف سيكون بلافائدة(٢٩).

على ان أوربان الثاني لم يستطع الإقامة في روما طويلاً بسبب إحتلال قوات البابا الإمبراطوري كلمنت الثالث لقلعتها فاتجه إلى جنوب إيطاليا(٣٠).

وعلى الرغم من وجود النورمان في جنوب إيطاليا وهم أنصار للبابوية وأعظم مؤيد لبابوات الإصلاح الكنسي لكن أوربان وجد استقبال عنيف من أتباع هنري الرابع في جنوب إيطاليا حيث ألقوا القبض على اتباعه وقاموا بتعذيبهم، لذلك أيقن انه لا يستطيع ان يستغنى عن الحلف النورماني(٣١) فاتجه أوربان بعد انتخابه بشهر في أبريل ١٠٨٨م إلى الجنوب لمقابلة روجر الاول Roger I Vonsizilien لكي يجري معه مباحثات هامة(٣٢)، ولم يظهر أوربان بشكل صريح حاجته للمساعدة العسكرية في هذا الاجتماع بل ناقش فقط السياسة البابوية البيزنطية وأكد على عقد إتفاقيات جديدة تخص التنظيم الجديد في المستقبل للكنيسة في جنوب إيطاليا وصقلية وسوف توضح تلك الإتفاقيات العلاقة بين النورمان والبابوية(٣٣)

وأراد البابا أوربان بذلك أن يتأكد من وجود قوة تحميه يستطيع بواسطتها ان يعرف قدرته على عقد اجتماعات لزعماء الكنيسة وممارسة مهام وظيفته لذا كان ضرورياً جداً الإتصال بالنورمان وخاصة ان السياسة النورمانية منذ وفاة روبرت جويسكار تغيرت وانشغل النورمان بمشاكلهم الخاصة(٣٤).

كما قام أوربان بعقد مجمع كنسي بمدينة ميلفي Milfy أقسم فيه روجر الصقلي وروجر أبولين والكونتيسة ماتيلدا على تأييد البابا(٣٥).

وفي سنة ١٠٨٩م عقد كليمنت مجمع كنسي اعترض فيه على تراجع رجال الكنيسة عن تبعيتهم للإمبراطور، كما اعلن رفضه لحرمان الإمبراطور من الكنيسة بدون دليل من القوانين المقدسة يدينه؛ لأن ذلك سوف يؤدي إلى الاشتباه فى ما أقسموا عليه، وقرر كليمنت ان يقوم المجمع بإصدار الحكم حتى لا يعود أحد بعد ذلك ويجرؤ على توجيه الإهانة الى الإمبراطور في هذه المسألة ويأمر رعاياه بعدم الخضوع إليه(٣٦).

كما أعلن كليمنت ان أى شخص يقسم للإمبراطور على طاعته وتبعيته له ثم يتراجع عن قسمه بسبب المؤامرات يعتبر مذنباً واذا لم يقم بالتكفير الذي حدده المجمع، أي ان يترك العالم ويدخل الدير ويتوب عن ذلك طيلة أيام حياته(٣٧).

وفي روما قام المعارضون لكليمنت الثالث ومؤيدي أوربان الثاني بثورة ضد كليمنت الثالث وساعدهم النورمان بهجوم مفاجئ على روما مما اضطر كليمنت إلى إلهروب إلى رافنا لينجو بنفسه، وفي الثالث من يوليو ١٠٨٩م اتجه أوربان إلى كنيسة القديس بطرس حيث استطاع ، ولأول مرة ، أن يقيم القداس وسط فرحة غامرة من الرهبان والقساوسة(٣٨).

وقام كليمنت الثالث بحث مؤيديه واتباعه في إيطاليا العليا على إظهار العداء لأوربان الثاني منذ بداية بباويته واستند في ذلك على وجود أسقفية رافنا Ravena المركز الرئيسي لحكمه[٣٩]، لذلك كان ضروري على أوربان التحرك لمواجهة خصمه هنري الرابع خاصة وأنه رفض اقتراح النورمان بخصوص حملة عسكرية كبرى لاقتحام روما وهذا الاقتراح عرضه عليه في أعقاب مجلس ميلفي سنة ١٠٨٩م[٤٠].

ولما كان البابا أوربان يعلم مد إخلاص ماتيلدا للبابوية اقترح عليها الزواج من ويلف الخامس Welf V بن ويلف الرابع Welf IV دوق بافاريا حيث ان تلك الزواج سوف يخدم البابوية في المقام الأول[٤١].

وبعد موافقة الطرفين تم الزواج في أغسطس ١٠٨٩م وبذلك يكون أوربان قد ربط رأس المعارضة الألمانية والمعارضة الإيطالية لهنري الرابع وعمل على تقوية نفوذ ماتيلدا والبابوية أمام هنري الرابع[٤٢].

ولكن هذا الزواج لم يحقق النتائج المرجوة منه بل انتهى سريعاً خاصة عندما علم الأمير ويلف الخامس بانه لن يرث شيئا بعد موت الكونتيسة ماتيلدا ؛ وذلك لأن أملاكها ستؤل إلي الكنيسة الرومانية بعد وفاتها بموجب الوصية التي كتبتها وسجلتها في سنة ١٠٧٧م وبذلك انتهي الزواج في يوليو ١٠٩٥م[٤٣].

ومن الناحية الأخرى أراد هنري الرابع وضع حد لتدهور وضعه الإمبراطوري في إيطاليا، فقرر القيام بحملة ألمانية في ربيع ١٠٩٠م على إيطاليا لإخضاع المتمردين وتواصل مع كليمنت الثالث واجتمعا سويا وعبرا جبال الألب قاصدين مملكة الكونتيسة ماتيلدا ونجحوا في الإستيلاء على مدينة بو Po وعلى القصور المحيطة بها، وفي مايو ١٠٩١م تمكن هنري الرابع من دخول مدينة مانتو Mantoue بعد

حصار دام أحد عشر شهراً وعين فيها أسقفاً محروماً من الكنيسة، كما قام هنري بتعيين كثيراً من الأساقفة في كنائس وأديرة مانتوا(٤٤).

وفي فبراير ١٠٩١م عندما علم أوربان بدخول كليمنت وأتباعه روما اضطر إلى الهروب بسبب خوفه من الاعتداء عليه منهم، وجلس كليمنت على عرش كنيسة القديس بطرس ثم دعا إلى عقد مجلس كنسي لكي يتعرف على حقوقه ولكن لا هذا المجلس غير القانوني ولا اثنين آخرين دعا لهما انعقدا فمثل هذا المناخ الملئ بالويلات والضحايا بسبب هنري الرابع وحملته جعل الأساقفة يتجنبون اتصالهم بالبابا غير الشرعي ولكنهم اضطروا للاتصال به دون اقتناع خوفاً من بطش هنري الرابع وخاصة بعد انتشار أخبار إنتصاراته وكان منهم روثرد Ruthord مطران ماينز Mayence الذي اعتذر بحجج واهية(٤٥)

وقد تزامن مع انتصارات هنري في إيطاليا سنة ١٠٩١ موت اثنين من ألد أعداء هنري الرابع في ألمانيا هما رئيس الدير جويوم الهيرس Guillaumad Hirsau والأسقف ألتمان الباسو Altmann de Passau والذي يعتمد عليه أوربان في متابعة الشئون الدينية داخل ألمانيا، وقام كليمنت الثالث بتدعيم هنري الرابع حتى يتمكن من ممارسة حقه الإمبراطوري في تغيير الأساقفة في ألمانيا وفي ديسمبر ١٠٩١م وصل الأساقفة حديثو التعيين إلى مانتو ليتسلموا تعيينهم من الإمبراطور هنري الرابع(٤٦).

والجدير بالذكر ان هنري الرابع حرص على التمسك بتأييده لكليمنت الثالث، خاصة بعد إنتصاراته في إيطاليا، حتى عندما قام أعداءه منهم ملك بوهيميا Boheme وملك بولونيا Pologne بتقديم فروض الطاعة والولاء للإمبراطور هنري الرابع، كما أرسل ويلف الرابع لعقد مفاوضات سلام مع هنري الرابع(٤٧) وحدد مكان وميعاد اللقاء بينهم في أغسطس ١٠٩١م في مدينة فيرونا Veroneولكن المفاوضات فشلت بسبب

تمسك هنري الرابع بتأييده لكليمنت الثالث الذي حضر بنفسه هذا اللقاء، مما أثار غضب ويلف الرابع وعجل بفشل المفاوضات(٤٨) .

كذلك رفض هنري الرابع التخلي عن تأييد كليمنت الثالث عندما عرضت عليه الكونتيسة ماتيلدا الصلح في عام ١٠٩٢م، وصمم على معارضة البابا أوربان الثاني، وبالتالي اصرت ماتيلدا على الاستمرار في الدفاع عن البابوية للنهاية(٤٩)

وفي عام ١٠٩٢م استمر كليمنت الثالث في تدعيم هنري الرابع لدرجة انه لم يستطع أحد من الجريجوريين الوقوف في وجه هنري الرابع بعد نجاحه في تغيير الأساقفة بألمانيا، وفي عيد القيامة عام ١٠٩٢ عين هنري أسقفا جديدا في كونستانس، وأسقفا آخر إلى سان جال Saint– Gall (٥٠).

أما بالنسبة لموقف أوربان الثاني من انتصارات هنري الرابع وكليمنت الثالث في إيطاليا فلم يفقد شجاعته ولم يتنازل عن إدعاءاته ولم يجد أوربان حلاً غير الدعوة إلى مجمع ديني في بينفينت Benevent من ٢٨ مارس الى مارس ١٠٩١ حيث جدد الحرمان لكليمنت الثالث ومؤيديه ولكن أمام خطورة الموقف دعا الأمراء للتفاوض مع هنري الرابع بشرط المحافظة على قوانين الكنيسة الرومانية(٥١).

كما قام البابا أوربان بإرسال خطابات إلى مؤيديه في إيطاليا وألمانيا والتي تحدث فيها عن العمل السياسي والديني واسع النطاق، وحرص على أهمية ان يظهر للجميع بأنه فعلاً البابا الشرعي الحاكم(٥٢).

واتجه الإمبراطور هنري إلى كانوسا لاستئناف القتال ضد ماتيلدا في خريف ١٠٩٢م ولكن الحملة التي بدأت قوية وحققت نجاحاً كبيراً ، تغير حالها عند مدينة كانوسا وهزم هنري الرابع وقواته هزيمة ساحقة وانسحب إلى مدينة فيرونا التي قضى بها معظم الشتاء(٥٣).

وعلى الفور غضب مؤيدي البابا أوربان الثاني في روما عندما وصلت إليهم أخبار هذه الإنتصارات ، ضد كليمنت الثالث وقاموا بطرده، كذلك ازداد تأييد البابا أوربان في إيطاليا وألمانيا مع بداية عام ١٠٩٣م وانتشار أخبار انتصار ماتيلدا في معركة كانوسا ومعركة بو، فتشجع أوربان إلى العودة لروما ودخلها في مارس ١٠٩٣م(٥٤).

ومثل ماكانت الإمبراطورية تقوم باستخدام سلاح ضد البابوية وتقوم بتعيين بابا معارض، قامت البابوية لثاني مرة بتتويج إمبراطور معارضاً للإمبراطور هنري الرابع حتى تستطيع فرض سيطرتها على الإمبراطورية، واصر أوربان الثاني عل إتباع حرب نفسية مع الإمبراطورية وليست حروب عسكرية، وقام بتوجيه ضربة قاضية لهنري بتشتيت أسرته(٥٥).

واستغل أوربان الثاني والكونتيسة ماتيلد الخلاف القائم بين هنري الرابع وابنه كونراد وتقربا من ابنه لتدبير مؤامرة للقيام بانقلاب ضد أبيه وتعيينة ملكاً على ألمانيا، لكن هنري اكتشف هذه المؤامرة وقام بالقبض على ابنه ونفاه إلى جزيرة اخطأ في إختيارها؛ لأنها كانت بالقرب من ممتلكات ماتيلدا مما ساعد كونراد على الهروب إلى ماتيلدا التي مهدت الطرق للقاء كونراد مع أوربان في ١٥ إبريل ١٠٩٣م في حزيرة كريمونا Cremona، وأقسم كونراد يمين الولاء للبابا أوربان الثاني وتعهد بحماية البابوية والدفاع عن الكنيسة، وفي مقابل ذلك اعتبره البابا ابناً للكنيسة الرومانية ووعده بتتويجه كإمبراطور على ألمانيا بدلا من هنري الرابع(٥٦).

وجاءت أهمية هذا الإتفاق بين أوربان وكونراد في موافقة الملك المعارض لقرارات البابوية وبخاصة القرارات التي صدرت ضد التقليد العلماني. ووافق كونراد على برنامج الإصلاح الجريجوري مقابل وعد البابا له بالمشورة والمساعدة في الحصول على عرش الإمبراطورية ووافق البابا على طلب كونراد.(٥٧)

وقام البابا أوربان تنفيذاً لوعوده لكونراد بعقد تحالف سياسي بين كونراد وروجر الأول الصقلي من خلال زواج كونراد من ابنة روجر في عام ١٠٩٤م لأن هذا الزواج سيمكن كونراد من الوصول إلى السلطة في مملكته إيطاليا، كما رأي أوربان في هذا الزواج تجميعاً لكلا الرجلين التابعين للبابوية وذلك لحمايتها والقضاء على الإنشقاق بين البابوية والإمبراطورية نهائيا(٥٨)، كما وجد معارضو هنري الرابع في ألمانيا مثل ويلف الخامس وهيرمان فرصة لإعلان العصيان ضد هنري الرابع(٥٩).

إلا أن ثورة كونراد لم تسفر عن النتائج العسكرية المرجوة منه وذلك لأن كونراد نفسه لم يستطع الإقدام على محاربة والده، بالإضافة إلى إنشغال البابا أوربان عنه برحلته إلى فرنسا ومشروعه الصليبي، كذلك انشغلت عنه الكونتيسة ماتيلدا بخلافها مع ويلف الخامس وطلاقها منه، وفي ألمانيا انشغل مؤيدي كونراد بالصراع مع الرهبان المؤيدين للملك هنري الرابع، وتمكن هنري الرابع في عيد الماينزر Mainzer مايو ١٠٩٨م وبدون أي مصاعب ان يعلن حرمان كونراد من ولاية العهد وولى أخاه الأصغر الذي عرف بهنري الخامس وتوفى كونراد في ٢٧ يوليو ١١٠١ في فلورنسا(٦٠).

وتوالت المصائب على هنري الرابع في عامي ١٠٩٣م و١٠٩٤م بالاضافة الى مرض الطاعون الذي اجتاح أوربا كلها سنة ١٠٩٤ وقد زعزع هذا الطاعون الايمان بالبابا كليمنت في قلوب الامراء الذين تحالفوا مع هنري الرابع عقب انتصاراته في إيطاليا واعتبروا ذلك الطاعون عقابا من الله على تركهم العقيدة الصحيحة، لذا تحول كثير من المنشقين عن تأييد هنري الرابع، حتى ان أوربان الثاني أعطى الكهنة والقساوسة الصلاحية لاستقبال الاشخاص الذين يريدون إعلان توبتهم عن تأييد كليمنت الثالث، وتجدر الاشارة الى انه خلال فترة الطاعون توجه كثير من الاشخاص للبابا وأتباعه في كل أوربا للحصول على الخلاص والغفران من الخطايا(٦١)

الخاتمة

بعد دراسة (جهود كليمنت الثالث تجاه الإمبراطور هنري الرابع) يمكن الخروج بعدة نتائج ودلالات منها:

أولاً: ظهر البابوات الإمبراطوريين خلال فترة الصراع بين البابوية والإمبراطورية.

ثانياً: كان لكليمنت الثالث دور ملحوظ في مساندة الإمبراطور هنري الرابع في صراعه مع البابا جريجوري السابع من خلال حشد الجيوش للإمبراطور، والقضاء على المتمردين ضده.

ثالثا: قام كليمنت الثالث بدور هام في مواجهة البابا أوربان الثاني من خلال عقد مجالس كنسية ضده، والقيام بطرده من مقر البابوية، والدعوة لمقاطعته وعدم التعامل معه كبابا للكنيسة.

رابعا: ظل كليمنت الثالث بابا خاص بالإمبراطور هنري الرابع وليس بالمسيحية لأن الكنيسة رفضت الاعتراف به بسبب طريقة إنتخابه غير الشرعية.

وبعد:

كل الشكر لهيئة الإشراف على الجهد الواضح فى هذالبحث.

كل الشكر والتقدير للسيد الأستاذ الدكتور / محمد السيد ، وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث.

كل الشكر للطالبة على ما قدمته هنا فى بحثها.

الهوامش

(1) P. M. Savage., The Catholic University of America, 2003, vol. 3, Catholic University Of America, press, U.S.A.2003, P.777.

(2) Robinson, I. S., reform and The Church (1073-1122), in The New Cambridge Medieval History (1024- 1198), Cambridge University Press, Vol.IV, part. I, 2008, P.281

(3) Migne(J.P.) (ed),PatrologiaCursusCompletus. Series Latina, 221 Vols. (Paris, 1844-1846), vol.148, P. 110.

(4) Migne(J.P.) (ed), Op. Cit, Vol. 148, p. 109.

(٥) عمران، محمود سعيد، معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، بيروت،١٩٨٦م، صـ ٢٩٨؛عاشور، أوربا في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦، ج١، ص٣١٦؛

Mitchell, O.C., Two German Crowns (Monarchy and empire in Medieval Germany), Library of Congress Catalog, United State of America, 1985, P.44.

(6) Migne (J.P.) (ed), Op. Cit, Vol. 148, p. 126.

(7) Migne (J.P.) (ed), Op. Cit, Vol. 148, PP. 112-113.

(8) Migne (J.P.) (ed), Op. Cit, Vol. 148, P113.

(٩) برنز: بابوات يهود من غيتو روما، ترجمة وتقديم: سهيل زكار، دار قتيبة، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ص ١٩٧.

(١٠) برنز: المرجع السابق، ص١٩٧.

(١١) برنز: المرجع السابق، ص١٩٧.

(12) Migne (J.P.) (ed), Op. Cit, Vol. 148, p. 110.

(١٣) برنز: المرجع السابق، ص ١٩٧.

(14) Robinson, I. S., reform and The Church (1073-1122), Op. Cit., P.300.

(15) Mign(J.P.) (ed), Op. Cit, Vol. 148, p. 110.

(١٦) دول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت، ج١٤، ص٤٠٢؛

P. M. Savage., The Catholic University of America, 2003, vol. 3, Catholic University Of America, press, U.S.A.2003, P.777.

(17) Migne(J.P.) (ed), Op. Cit, Vol. 148, p. 110.

(١٨) نجيب اسطيفان: المصدر السابق، ص ١٧٧.

(١٩) برنز: المرجع السابق، ص ١٩٤.

(20) Migne(J.P.) (ed), Op. Cit, Vol. 148, p. 110.

(٢١)عاشور: المرجع السابق، ج١، ص ٣١٧؛ ديورانت: المرجع السابق، ج١٤، ص ٤٠١؛ عمران: المرجع السابق، ص ٢٩٨؛ برنز: المرجع السابق، ص ١٩٦.

(22) Migne(J.P.) (ed), Op. Cit, Vol. 148, p.112.

(23) P. M. Savage.,New Catholica Encyclopedia,Op. Cit, Vol.3,P.777.

(٢٤)عاشور: المرجع السابق، ج١، ص ٣١٧-٣١٨؛ عمران: المرجع السابق، ص ٢٩٨؛ برنز: المرجع السابق، ص ١٩٣-١٩٤؛

Giovanni Tabacco, Op. Cit, P.84; Mitchell, O.C., Op. Cit., PP.44-45.

(25) Robinson, I. S., reform and The Church (1073-1198), Op. Cit., P.

(٢٦)عاشور : المرجع السابق،ج١،ص ٣١٧-٣١٨؛ عمران: المرجع السابق، ص ٢٩٨؛ برنز: المرجع السابق، ص ٢٠٢؛

Mign(J.P.) (ed), Op. Cit, Vol. 148, p.112; Giovanni Tabacco, Op. Cit, P.84.

(27) Robinson, I. S., reform and The Church (1073-1198), Op. Cit., P. 413.

(28) Mitchell, O.C., Op. Cit., P.44.

(29) Becker(a.): Op. Cit., P. 141; Hefele(C.), Op. Cit., P. 341.

(٣٠)عاشور : المرجع السابق، ج١،ص ٣١٨.

(31) Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 434.

(32) Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 431; Becker(a.): Op. Cit., P. 116.

(33) Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 431; Becker(a.): Op. Cit., P. 116.
_عاشور: المرجع السابق، ج١، ص ٣١٨.

(34) Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 431; Becker(a.): Op. Cit., P. 117.

(٣٥) نص هذا القسم على القيام بالواجب تجاه البابوية والمقصود بالواجب دفع فائدة سنوية لتأييد وحماية البابا والبطاركة وتقديم المساعدة عند انتخاب البابا ووضع جميع الكنائس تحت تصرف البابا، في مقابل حصول النورمان علي شرعيه لغزواتهم للاراضي البيزنطية في الجنوب الايطالي واثبات احقية سيادتهموبذلك كانت العلاقة بين البابوية والنورمان قائمة على المكسب المتبادل.أنظر:

Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 433; Becker(a.): Op. Cit., P. 118.

(36) Ernest dummler, Decretum wibertive lclementispapae, p. 623-624

(37) Ernest dummler, Decretum wibertive lclementispapae, p. 623-624

(38) Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 434; Becker(a.): Op. Cit., P. 119; Hefele(C.), Op. Cit., P. 346

(39) Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 436

(40) Becker(a.): Op. Cit., P. 117; Hefele(C.), Op. Cit., P. 347

(41) Marcellino da civezza(M.O): op. cit., p. 74; Deuxieme: op. cit., P. 12; Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 435

عاشور: المرجع السابق: ج١، ص ٣١٨.

(42) Mourret(F): op. cit., p. 221; Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 435; Deuxieme: op. cit., P. 12-13

(43) Mourret(F): op. cit., p. 221; Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 435; Deuxieme: op. cit., P. 13

(44) Mourret(F): op. cit., p. 223; Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 438; Deuxieme: op. cit., P.12

(45) Becker(a.): Op. Cit., P. 131

(46) Becker(a.): Op. Cit., P. 131; Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 437

(47) Becker(a.): Op. Cit., P. 131; Deuxieme: op. cit., P.223.

(48) Becker(a.): Op. Cit., P. 127-128; Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 439; Hefele(C.), Op. Cit., P. 15.

(49) Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 439; Becker(a.): Op. Cit., P.127-128;

(50) Becker(a.): Op. Cit., P. 132

(51) Mourret(F): op. cit., p. 224; Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 438; Becker(a.): Op. Cit., P. 132; Hefele(C.), Op. Cit., P. 14.

(52) Mourret(F): op. cit., p. 224; Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 438; Becker(a.): Op. Cit., P. 132; Hefele(C.), Op. Cit., P. 14.

(53) Fliche: Histoire du Moyen Age , p. 443; Becker(a.): Op. Cit., P.132; Mourret(F): op. cit., p. 223

(54) Mourret(F): op. cit., p. 223

(55) Liver(T.): Histoir, deconcilos,P. 13; Robinson, I. S., reform and The Church (1073-1122), Op. Cit., p. 417

(56) Mourret(F): op. cit., p. 223; Liver(T.): Histoir, deconcilos,P. 26; Becker(a.): Op. Cit., P.133-134.; Robinson, I. S., reform and The Church (1073-1122), Op. Cit., p. 417.

(57) Robinson: the papacy 1073-1198,p. 418.

(58) Bernoldkostaz: Chronico, Mg, Tom5,P.456, ; Becker(a.): Op. Cit., P.133-134.

(59) Bernold: op. cit, Tom. 5, p. 456

(60) Bernold: op. cit,Ttom. 5, p. 463; Becker(a.): Op. Cit., P.137.

(61) Mourret(F): op. cit., p. 223; Fliche: Histoire du MoyenAge , p. 443.